

تجليات الرسالة شكلا تعبيريا في الشعر الجزائري الحديث و المعاصر، قصيدة "صدى الصحراء"
 ل محمد العيد آل خليفة أمودجا.

The manifestations of the message as an expressive form in modern and contemporary Algerian poetry, the poem "Echo of the Desert" by Mohamed El-Eid Al Khalifa as a model

د. بوحجرة أميرة أحلام / د. تواتي شهيرة

درويش محجوبة*

جامعة أحمد بن بلة، وهران 1،

جامعة أحمد بن بلة، وهران 1،

مخبر السيميائيات و تحليل الخطاب، جامعة أحمد بن بلة،

(الجزائر)

bouhadjarahlemamira@yahoo.fr
chahira40@yahoo.fr

[Darrouiche.mahdjouba@edu.univ-
 oran1.dz](mailto:Darrouiche.mahdjouba@edu.univ-oran1.dz)

تاريخ النشر: 2026-06-09

تاريخ القبول: 2026-05-08

تاريخ الاستلام: 2026-03-23

ملخص:

تناول هذا المقال أبعاد شكل من الأشكال التعبيرية و هو الرسالة في قصيدة "صدى الصحراء" للشاعر الجزائري محمد العيد آل خليفة، باعتبارها نموذجاً للشعر الذي يمزج بين البعدين الإصلاحي و الوطني، يظهر جوهر الرسالة في استخدام الشاعر عناصر البيئة الصحراوية بطريقة رمزية لتحويلها إلى فضاء يعبر عن معاناة الأمة و آمالها في تحقيق التحرر، كما تتضح رسالة القصيدة من خلال نبرة التحريض و السعي لإيقاظ الوعي الجماعي، إذ يدعو الشاعر إلى الوحدة و نبذ التفرقة بين أفراد الأمة، و يعتمد في ذلك على أساليب بلاغية مؤثرة، مثل أسلوب النداء، و تكرار العبارات للتأكيد، مما يعزز وقعها على المتلقي، و بهذا تصبح القصيدة أداة تواصل تحمل بعدا يتجاوز الجماليات الشعرية لئسهم في أداء دور إصلاحي و توعوي عميق.

الكلمات المفتاحية: تداخل، شكل تعبير، رسالة؛ شعر جزائري حديث و معاصر؛ مفهوم ؛ أنواع .

Abstract :

This article examines the dimensions of a form of expression, namely the message, in the poem "Echo of the Desert" by the poet Muhammad Al-Eid Al Khalifa, as a model of poetry that blends the reformist and national dimensions. The essence of the message appears in the poet's symbolic use of elements of the desert environment to transform it into a space that expresses the suffering of the nation and its hopes for achieving liberation. The poem's message is also evident through the tone of incitement and the endeavor to awaken collective consciousness, as the poet calls for unity and the rejection of division among the members of the nation. He relies on effective rhetorical methods, such as the style of calling and the repetition of phrases for emphasis, which enhances its impact on the recipient. Thus, the poem becomes a communication tool that carries a dimension that transcends poetic aesthetics to contribute to performing a profound reformist and awareness-raising role.

KeyWords: Interplay; expressive form; message; modern and contemporary Algerian poetry; concept; types

المقدمة:

يعتبر الشعر الجزائري الحديث منبرا غنيا للتعبير عن القضايا الفكرية و الوطنية، فلم يعد مجرد فن جمالي فحسب، بل تطوّر ليكون أداة فعّالة للتوجيه و الإصلاح و تعزيز القيم في المجتمع، و في هذا السياق يبرز الشاعر محمد العيد آل خليفة كأحد رموز الشعر الإصلاحيّ، إذ حملت قصائده هموم الأمة و سعت جاهدة لإيقاظ الوعي الجمعيّ عبر لغة تتسم بقوة البيان و صدق التعبير، و من أبرز أعماله التي تجسّد هذا الاتجاه قصيدة " صدى الصحراء"، التي تتخطى كونها وصفا شعريّا لتصبح رسالة هادفة موجّهة إلى الإنسان و المجتمع، و لدراسة تجليات هذا الشكل التعبيري المتمثّل في الرسالة في هذه القصيدة، من الضروريّ تسليط الضوء على الطّريقة التي استخدم بها الشاعر لغته الشعريّة لتحقيق وظيفة تواصلية و إقناعيّة، ممّا جعل القصيدة إطارا حاضنا لفكر إصلاحيّ يعكس البعد الدينيّ و الوطنيّ و الأخلاقيّ،

و بهذا تتشابك الخصائص الجمالية للشعر مع مقومات الرسالة التي تشمل وضوح الهدف و عمق التأثير، و وعيا دقيقا باحتياجات المتلقي، و انطلاقا من هذا التصور، يمكن طرح الإشكالية الآتية: كيف تجلّى فنّ الرسالة في قصيدة "صدى الصحراء" لمحمد العيد آل خليفة؟ و إلى أيّ مدى أسهم هذا الشكل التعبيريّ الرسالي في إبراز جماليات القصيدة الشعريّة أو القصيدة الرسالة؟

و للإجابة عن هذا التساؤل، سنعرّف الرسالة و نتطرّق إلى أنواعها، ثمّ نبرز من خلال استقراءنا لأبيات القصيدة تظاهرات الرسالة فيها، معتمدين المنهج الوصفي التحليلي في هذه الدراسة، و ذلك من خلال تحليلنا للقصيدة، و العمل على استجلاء الأساليب البلاغية، و الوقوف عند البنية التعبيرية التي أسهمت في نقل الخطاب الرسالي و تحقيق أثره في المتلقي.

1. التعريف بالشاعر:

هو محمد العيد آل خليفة، وُلد يوم 28 أوت 1904م بعين البيضاء، ولاية أم البواقي (قينة)، ينحدر من أسرة محافظة، تربّى في كنف أب صوفيّ صالح، كبر في جوّ مُفعم بالعبقة و التقوى و حبّ الوطن و الاعتزاز بالقومية و العقيدة الإسلامية، تعلّم في الكتاتيب و حفظ القرآن الكريم بها، ثمّ التحق بمدرسة عين البيضاء، إذ تلقّى فيها علم العربية و علوم الشريعة على يد كلّ من الشّيوخين المكّي بن ناجي و محمّد الكامل بن الشّيوخ المكّي، ختم حفظ القرآن الكريم و عمره أربع سنوات في مدينة بسكرة (سمينة م.)، ثمّ سافر إلى تونس لتكملة تعليمه في جامع الزيتونة، ثمّ إلى مدينة فاس، و بعدها توجه إلى الأزهر بالقاهرة، ثمّ عاد بعد أربع سنوات إلى بسكرة و شارك في حركة الانبعاث الفكريّ (بدوغان، في الأدب الجزائري الحديث، 1996)

تولّى عدّة مناصب منها مهنة التدريس، ثمّ مديرا لبعض المدارس و الجمعيات مثل جمعية الشّبيبة الإسلامية في مدينة الجزائر من 1928م حتّى 1940م، كما شغل منصب الإمامة بعين مليلة، توفي الشاعر الجزائري محمد العيد آل خليفة يوم 31 يوليو 1979م، بباتنة مخلّفا وراءه إرثا شعريا حداثيا أشهره ديوانه الشعريّ، و مسرحيّة بلال بن رباح الشعريّة، الشعر الوطني التحرري، و العديد من المقالات الصحفية.

2. مفهوم الرسالة:

ازدهر فنّ الرسائل في الأدب و انتشر في القرنين الثالث و الرابع الهجريين، فهو فنّ ثريّ جميل يُظهر قدرة الكاتب و موهبته الأدبية و روعة أسلوبه البياني المنيق القويّ، و الرسالة فنّ أبّي قديم معروف منذ العصور القديمة، هدفها نقل و تبادل المعلومات بين الملوك و الأمراء و الأصدقاء، و قد تعدّدت أنواع نقل الرسائل، فكانت تُرسل الرسالة مع وفد حكوميّ، أو عبر الحمام الرّاجل الذي يعدّ أشهر وسيلة لنقل الرسائل، ثمّ تمّ إقامة البريد في صدر الإسلام، ثمّ تطوّرت وسائل نقل الرسائل في العصر الحديث، و تمّ إنشاء البريد، ليصبح البريد الالكتروني أسرع وسيلة في العصر الحديث و المعاصر.

2. 1. لغة:

ورد في قاموس اللغة العربية أنّ الرسالة ما يكتبه المرسل على الورق من أخبار و معلومات في شكل خطاب، و يرسلها إلى المتلقي عبر البريد، و هناك الرسالة الشفوية التي تتبدى في الكلام الشفويّ الذي ينقله المرسل إلى المتلقي شفويا (الله، 2021م-2022م)، و في لسان العرب، قال ابن منظور: "رسل الرّسل القطيع من كلّ شيء و الجمع إرسال و الرّسل" (لسان العرب، 1997م)، و رسل رسلا و رسالة، و شعر رسل مُسترسَل و استرسل الشعر أي أصبح سبطا، و ناقة مراسل: رسالة القوائم، كثيرة الشعر في ساقها، و قد أرسل إليه، و الاسم الرسالة، و الرسالة الرسول و الرّسل، و الرسول بمعنى الرسالة يذكّر و يؤنّث، فمن أنث جمعه أرسلًا، و ترسل القول أي أرسل بعضهم إلى بعض رسالة أو رسولا، و الرسالة ما يُرسل، و رسالة الرسول ما أمر بتبليغه من الله (مصطفى، 1972م)، و "راسله في كذا، و بينهما مكاتبات و مراسلات، و ترسلوا، و أرسلته برسالة و برسول، و أرسلت إليه أن أفعل كذا، و أرسل الله في الأمم رسلا" (الزمخشري، 1998م)

الرسالة في اللغة جمعها رسائل و هي من: "تراسل القوم أي أرسل بعضهم إلى بعض رسولا أو رسالة، و الرّسل محرّكة القطيع من كلّ شيء، و بالكسر الرفق، و التّؤدة كالرسالة و التّرسل، و أرسلوا: كثر رسلهم كرسلا ترسيلا و صاروا ذوي رسل، و بالفتح السهل من السير فيقال: ناقة مراسل أي سهلة السير" (آبادي، 1439هـ/2015م)، و ترسل في قراءته إذا تمهّل و توقّر و رتلها، و التّرسل في الكلام التّوقّر و التّفهم و التّرفق من غير أن يرفع المرء صوته بكثرة، و التّرسل في القراءة و التّرسيل واحد و هو التّحقيق بلا عجلة و قد جاء في كتاب البرهان في وجوه البيان لابن وهب قوله: "التّرسل: من ترسلت أترسل ترسلًا و أنا مترسل، كما يقال توقفت بهم أتوقف توقفاً و أنا متوقف و لا يقال ذلك إلّا فيمن تكرّر فعله في الرسائل، و أرسل يُرسل إرسالًا و هو مرسِل، و الاسم و الرسالة، أو راسل يُراسل مُراسلة و هو مراسل و ذلك إذا كان هو و من يرأسله قد اشتركا في المراسلة، و أصل الاشتقاق من ذلك أنّه كلام يرأسل به من بعيد فاشتق له اسم التّرسل و الرسالة من ذلك" (الكاتب، 1969م)

2. 2. اصطلاحا:

ظهرت الرسالة كفن نثري في الأدب العربي منذ العصر الجاهلي ، ثم أخذت في التطور مع تطور الحياة في المجتمعات العربية، من بين الرسائل التي عرفها العرب في العصر الجاهلي رسالة عمرو بن هند التي سطرّت مقل طرفة بن العبد، كانت الرسائل تنقل عبر التجار، أو عن طريق الحمام الزاجل، كما كانت تشعل النار على أعالي القمم والجبال لإرسال رسالة قصيرة (رضوان، 2017م)، وقد تغيّر معنى الرسالة من دلالتها الحسية إلى مفهومها المعنوي، فقد أشار ابن منظور إلى أن الإرسال مفاده التوجيه، والاسم منه الرسالة، ثمّ تغير معناها من المجال اللغوي إلى كل كلام يتم المراسلة به من بعيد (الكاتب إ.، 1967م)، فالرسالة بكل أنواعها وموضوعاتها هي كلّ ما يرسل من شخص لآخر إمّا شفهيًا أو كتابيًا، لموضوع ما بين طرفي المراسلة استنادًا للعلاقة بين المرسل والمرسل إليه (الشّوايكة، 2009م).

والرسالة هي "ما يكتبه امرؤ لآخر معبراً فيه عن شؤون خاصة أو عامة، وتكون الرسالة بهذا المعنى موجزة لا تتعدى سطورا محدودة ، ينطلق فيها الكاتب عادة على سجيته بلا تصنع أو تأثّق، وقد يتوخى حيناً البلاغة والغموض على المعاني الدقيقة فيترفع بها إلى مستوى أدبي رفيع" (التّور، 1984م)، تتسم المراسلة بالسذاجة والايجاز والجلاء والطلاوة والملاءمة، فالسذاجة أن يكون الكلام فطرياً بعيداً عن شوائب التكلّف خالياً من بهرجة الكلام، أما الجلاء فهو العدول عن الكلام المغلق والتشابه المستبعدة، ويتبدّى الإيجاز في خلوّ الرسالة من حشو الكلام والابتعاد عن تطويل الجمل والعبارات لإبراز واقعية الدلالة على المقصود مقتصرة على المحسنات القرينة المثال، كما تنماز هذه الرسائل بأساليب تستهل بها وتختتم، ومن ذلك افتتاحها بالبسملة والحمد والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، والدّعاء، وعبارة "أمّا بعد"، كما نجد في بداية هذه الرسائل عبارات مثل: "من فلان إلى فلان"، أو "لفلان من فلان"، وأمّا ختام هذه الرسائل فيكون عادة بآية قرآنية أو تحية، ومن هذه الرسائل ما هو ابتداء ومنها ما هو انتهاء ومنها ما يكون جواباً فيه ما يوحى بالوصول مثل: وصل كتاب أخي مخبراً بكذا" (عطية، 2009م).

كما تتباين أساليب الرسائل فنجد منها الموجز المختصر، والمتوسط المعتدل، والمستفيض المطنب، فتستعمل الرسائل الموجزة في خطاب الملوك والأمراء وذوي الهمم العالية، وأمّا المطنب منها فيصلح للمكاتبات الصادرة في الفتوحات ونحوها مما يقرأ في المحافل ومخاطبة من لا يصل المعنى إلى ذهنه بأوجز العبارات، وتبقى الأفضل في الرسائل إلى الموجز منها خاصة إذا لم يكن للإطنب داع (العالى، 1969م)، وتسمى الرسالة في الشعر رسالة كما تسمى أيضاً المألكة، والمألّك، والألوكة جذر ألّك وهي الرسالة، وسمّيت ألوكة لأنها تلّك في القيم، والألوكة هو

الرسول، وألك فلان ألكا أي أبلغه اللوك، أي رسالته، كما تسمى الرسالة في الشعر "المغلغلة" وهي الرسالة المحمولة من بلد إلى آخر (دهيبة، 2021م).

وقد أشار ابن طباطبا إلى علاقة الرسالة بالقصيدة قائلا: "فمن الأشعار أشعار محكمة أنيقة الألفاظ عجيبة التأليف وإذا نقضت وجعلت نثرا لم تبطل جودة معانيها ولم تفقد جزالة ألفاظها" (طباطبا)، يرى ابن طباطبا أن الرسالة قصيدة مفكوكة الأوزان والقصيدة رسالة معقودة، ويذهب على أن الشاعر "يسلك منهاج اصحاب الرسائل في بلاغتهم وتصرفهم في مكاتبتهم، فإن للشعر فصولا كفصول الرسائل فيحتاج إلى أن يصل كلامه على تصرفه في فنون صلة لطيفة فيتخلص من الغزل إلى المديح بأفضل تخلص وأحسن مكانة بلا انفصال للمعنى الثاني كما قبله، بل يكون متصلا به وممتزجا معه" (خلدون، 1858م).

3- أنواع الرسائل:

شهدت الرسائل تطورا ملحوظا واكتسبت أشكالا جديدة مع تفاوت أهدافها وأغراضها، وبناءً على هذا التنوع، تنقسم الرسائل إلى أربعة أنواع رئيسية الرسائل الرسمية الصادرة عن ديوان الرسائل، الرسائل الأدبية، الرسائل الإخوانية، وغير ذلك، وهي كالاتي (عتيق، 1982م):

3.1. الرسائل الديوانية:

هذا النوع من الرسائل كان يصدر عن ديوان الخليفة أو الأمير، و يُرسل إلى الولاة أو العمال أو قادة الجيوش، بل و قد يُوجّه أحيانا إلى الأعداء، إمّا للتوعد و الإنذار أو لاستمالتهم و استرضائهم، كما يوضح الرضي الاستربادي عند وصفه لرسائل أبي إسحاق الصايي، وعلى الرغم من ما يمكن أن تحتويه هذه الرسائل من بلاغة متقنة و زخرف فني، فإنها تظل مرتبطة بحدث معين أو ظرف طارئ، و نادرا ما تتسم بالثبات أو الاستمرارية التي تمس العامة في مختلف الأزمنة و الأماكن، فهذه الرسائل بطبيعتها تركز على شؤون الحكم و السياسة و إدارة السلطنة أو الإمارة و أمور الأمة، أي أنها في جوهرها تحمل طابع الرسائل السياسية بامتياز.

3.2. رسائل عامة:

كُتبت هذا النوع من الرسائل في مجالات متنوعة ليس لها ارتباط مباشر بالخلفاء أو الأمراء، بل تهتم بإدارة شؤون الدولة و تنظيم أمورها بعيدا عن القضايا السياسية و الحكم، ومن أبرز أمثلة هذا النوع من الرسائل، رسالة

عبد الحميد الكاتب، التي تضمّنت نصائح وإرشادات موجّهة للكتّاب الناشئين، وكذلك رسالة العذراء لإبراهيم بن المدير التي تناولت نفس الموضوع الذي طرحه عبد الحميد الكاتب، بالإضافة إلى ذلك، نجد رسائل ابن المقفع في كتابيه "الأدب الصغير" و"الأدب الكبير"، و رسائل القاسم بن صبيح و عمارة بن حمزة، هذه الرسائل جميعها تسعى إلى توصيل الفكرة بشكل واضح ومستند إلى قوة الحجّة، مع الحفاظ على البلاغة و العناية بجمال الألفاظ و تحسيناتها.

3.3. الرسائل الإخوانية:

كان الكاتب يوجّه هذه الرسائل إلى أصدقائه المقربين أو أولئك الذين يطمح إلى كسب مودّتهم و ودّهم، و قد أخذ كبار الأدباء و الكتّاب يتفتّنون في صياغتها، إذ جسّدوا فيها مشاعرهم الشخصية بأسلوب لغوي راقٍ و منقّى بعناية، و نظراً لأهمية هذه التوعية من الرسائل و كونها تعكس حاجة مشتركة بين الجميع، فقد أقرّ النقاد بقيمتها الأدبية و أهميتها الثقافية، فهي تُتيح للكاتب المتمكن التعبير بحريّة و سلاسة، بما قد يصعب تحقيقه في الكتب ذات الضوابط و القوالب الجامدة، و قد قام مؤلف كتاب "صبح الأعشى" بتقسيم الرسائل الإخوانية إلى سبعة عشر نوعاً رئيسياً، تشمل: التهاني، التعازي، الشّفاعات، التشويق، الاستزارة، طلب المودّة، خطبة النّساء، الاستعطاف، الاعتذار، الشّكوى، استمache الحوائج، الشّكر، العتاب، السّؤال عن حال المريض، الأخبار، المداعبات، و تندرج تحت هذه الأنواع تقسيمات فرعية و أشكال مختلفة تعكس تنوع الغايات و الأساليب.

لم تقتصر الرسائل الإخوانية على هذا الحدّ، بل تطوّر مفهومها ليشمل أدباً راقياً مثل رسالة ابن القارح التي وجهها إلى أبي العلاء المعري و ردّ عليها الأخير برسالة الغفران، كما تضمّنت رسائل أخرى كرسالة داعي الدّعاة إلى أبي العلاء حول تحريم أكل اللحم و التي ردّ عليها أبو العلاء أيضاً، بالإضافة إلى ذلك، ظهر في الإخوانيات نوع آخر من الرسائل الجديدة، مثل رسائل ابن زيدون، التي عبّر فيها عن استعطافه لأبي الحزم بن جهور، أحد ملوك الطوائف في الأندلس.

4.3. الرسائل الأدبية:

الرسائل الأدبية هي نوع من النّصوص التي لا تُوجّه إلى فرد محدّد، بل يكتبها المؤلف لتكون موجهة إلى الجمهور بشكل عام، هذا النوع من الرسائل يشبه المقالات في العصر الحديث، حيث يناقش الكاتب موضوعاً معيناً، سواء كان خاصّاً أو عامّاً، بأسلوب أدبي يهدف إلى تحريك مشاعر القراء و إثارة عواطفهم، و من أبرز الأمثلة على هذا

التّوع رسائل الجاحظ، الذي وُصف بأنه إمام كتّاب الرّسائل على مرّ العصور، مثل رسائله الشهيرة: رسالة التّربيع و التّدوير، و رسالة الحاسد و الحسود، و رسالة المعاش و المعاد، و غيرها من الأعمال الأدبية المميّزة، و عليه فإنّ الرّسائل الأدبية تتميّز بأنّها موجهة لجمهور واسع، دون استهداف قارئ معين بذاته.

تنوّعت أساليب الكتابة و تعددت موضوعاتها بناءً على اختلاف غاياتها و رسائلها، فبعض الكتّاب أخلصوا أنفسهم للكتابة في شؤون الدولة، مثل أبي إسحاق الصّابي والصّاحب بن عباد، الذي شغل منصب وزير لدى مؤيد الدولة بن بويه و أخيه فخر الدّولة، رغم ذلك، أُتيحت الفرصة لبعض هؤلاء الكتّاب الملتزمين لمعالجة موضوعات أخرى بعيدة عن مسائل الدّولة و السّياسة، كما هو الحال مع عبد الحميد الكاتب و ابن المقفع، و في المقابل، وجد كتّاب آخرون لم يرتبطوا بالخلفاء أو رجال الحكم في الدّولة حرّية أكبر سمحت لهم بالتفرغ للتأليف الأدبي في مجالات متنوعة، و من بين هؤلاء: الجاحظ، و أبو بكر الخوارزمي، و بديع الزمان الهمذاني، و أبو منصور الثعالبي، و أبو العلاء المعري، و ابن زيدون، لقد استفاد هؤلاء من حرّية الكلمة التي امتلكوها ليبحروا برسائلهم في شتى الميادين، فتناولوا موضوعات متنوعة و شاملة، و اعتمد كلّ منهم منهجاً خاصاً يتماشى مع رؤيته و أسلوبه.

تستغرق الكتابة على يد كبار المنشئين و المتألقين في فن النثر وقتاً طويلاً حتى أصبحت وسيلة فعّالة للتعبير عن مختلف الموضوعات، متفوّقة بذلك على الشّع من حيث القدرة على التّويع و الابتكار، بفضل ما يتمتّع به النثر من مرونة و انعتاق من قيود الوزن و القافية، و بما أنّ الرّسالة تُتيح للكاتب مساحة واسعة من الحرّية، فقد اتّجه كل كاتب إلى التعبير وفق ميوله و اتجاهاته الخاصة، ممّا أدّى إلى ظهور تنوّع كبير في المذاهب و الأساليب و هذا التطور جعل الرّسالة تتجاوز كونها مجرد وسيلة تواصل عادية لتتحوّل إلى جزء من الأدب المنثور، بحيث يمكن للكاتب أن يتحكم في طولها و قصرها، و يختار أسلوبها بعناية، و قد تتخلّلها أشعار يستشهد بها الكاتب لإثراء المعنى، سواء كانت من نظمه الشّخصي أو ممن سبقه من الشّعراء، ما يضيف عليها جمالاً إضافياً، و لذلك جاءت هذه الرّسائل غالباً بعبارات جزلة و أسلوب رشيق و ألفاظ مُنتقاة بعناية، محمّلة بمعانٍ مبتكرة و طريفة، و قد لقي بعض الكتّاب إشادة واسعة بسبب براعتهم في هذا الفن، مثل أبي تمام الذي يُعد مثلاً بارزاً على بلاغة الأسلوب و جودة التعبير.

4. تجليات الرسالة في قصيدة "صدى الصحراء" لمحمد العيد آل خليفة:

تتجلّى الرّسالة في شعر محمد العيد آل خليفة كشكل تعبيريّ في الكثير من قصائده، و من أبرز القصائد التي تُعدّ نموذجاً بارزاً للشعر الرّسائلي في شعره قصيدة "صدى الصحراء" التي نشرت في العدد الأول من جريدة صدى الصّحراء التي أصدرها السيد أحمد بن العابد العقبي عام 1924م، كما تمّ نشرها في كتاب شعراء الجزائر، إذ نستشفّ في هذه القصيدة رسالة الشّاعر الفكرية و الوطنية، عبّر عنها من خلال صور شعرية و بلاغية مؤثرة بلغة

شاعرية رفيعة، و سنجلي في هذا العنصر تبدّيات الرسالة في هذه القصيدة التي تنوّعت بين الدّينية، و الإصلاحية، و الوطنية، و التحفيزية، و هي كالآتي:

1.4. الرسالة الدّينية في القصيدة:

تبدّى الرسالة الدّينية في قصيدة "صدى الصحراء" من خلال استحضاره للقيم الإسلامية وتعاليم الدّين الحنيف كالصدق، و الوقوف مع الحق، و يتجلّى هذا في قوله (خليفة، 2010م):

كُتبت فكان الحقّ طوع أناملي *** و قلت فكان الصدق وسع مقالي

و كنت صدى الصحراء أدعى لأنني *** بسطت على الصحراء نور هلامي

وظّف الشاعر رمز الصحراء تعبيرا منه عن الصّفاء الرّوحي، كما وظّف الصدق، و الحق، و النور في هذين البيتين ليرسل لنا رسالة التمسك بهذه القيم التي غابت و تراجعت نسبتها، فهو يدعونا إلى الوقوف مع الحق، و قول الصدق، و التمسك بها في مواجهة مختلف التّحديات.

كما يدعو الشاعر في ذات السّياق إلى الدّفاع عن الدّين الذي تكالبت عليه الدّول لمحاربته وتقويضه من خلال رسالة صريحة و واضحة في قوله (خليفة، 2010م):

أفيقوا فهذا الدّين بين ربوعكم *** تنازله الأحداث شرّ نزال

تحاول نكباء الظّلاله نفسه *** و ترميه أشلاء الرّدى بنبال

فقوموا مقامات الدفاع حياله *** ليأمن هذا الدّين كلّ ظلال

ففي هذه الأبيات يدعو الشاعر أبناء وطنه خاصة و المسلمين عامة إلى الدّفاع عن دينهم و معتقدتهم ضدّ أهل الظّلال و الشرور، فهو يوجّه رسالة مباشرة إليهم و ينبّههم إلى الاستيقاظ من غفلتهم والتّصدي لأعداء الدّين الذين يحاولون جاهدين نفسه كما قال، و هذا تجلّ واضح وجلي للرسالة الدّينية من الشاعر لأبناء جلدته و المسلمين كافة للتهوؤ ضدّ أعداء الأمة و الدّين.

2.4. الرّسالة الوطنية في القصيدة:

تبدّى الرسالة الوطنية في القصيدة بوضوح من خلال تمجيد الشاعر للوطن و دعوته لأبناء وطنه إلى

التّحلي بالروح الوطنية، وحبّه، و التمسك به، فقد أشار الشاعر إلى وطنه الأم الجزائر من خلال رمز الصحراء قائلا:

" بسطت على الصّحراء نور هلامي " (خليفة، 2010م)، إذ جعلها مصدر إلهام له، فالصّحراء في هذا البيت لا

تدل على المكان فقط إنّما توحى بالهوية الوطنية، فالشّاعر يمرّر رسالة ضمنية في قوله هذا، و هي دعوة الجزائريين إلى

التمسك بوطنهم و وطنيتهم، و الحفاظ على بلادهم، و ضرورة التمسك بالأرض و الاعتزاز بالوطن، فالبیت رسالة واضحة إلى الشعب الجزائري للتمسك ببلاده و الفخر بها و بثرواتها (الصحراء) و بعث منه حب الوطن.

3.4. الرسالة الإصلاحية في القصيدة:

ينتمي محمد العيد آل خليفة إلى تيار الإصلاح لذا نجده في هذه القصيدة و غيرها من القصائد يدعو إلى اليقظة و الحذر من الغفلة في قوله:

عسى أن يهب التائمون فيآثم *** يغطون من حقب مضين طوال

يخالون آيات الحضارة بينهم *** عجائب غيب أو طيوف خيال

و تمضي الليالي السود تجهد سيرها *** و هم بين مسلوب الشعور وسالي (خليفة، 2010م)

يوجه الشاعر في هذه الأبيات رسالة ينبه فيها قومه من الغفلة و يدعوهم إلى الوعي و النهوض من سباتهم، و حثهم على طي الليالي السود واسترجاع حقهم المسلوب، فهو يحاول من خلال رسالته هذه إصلاح مجتمعه و وطنه من خلال حث أبناء بلده على النهوض بهذا الوطن و ترك الوهم و مواكبة آيات الحضارة، فهو يحث و يدعو شعبه إلى إصلاح حالهم و النهوض بوطنهم، كما نستشف في هذه الأبيات رسالة حضارية وجهها محمد العيد آل خليفة إلى أبناء وطنه يحفزهم فيها على النهوض بوطنهم و استرجاع أجدادهم و تاريخه، و يقارب بين الماضي و الحاضر حتى يحفز و يبعث الهمم في أبناء الوطن.

4.4. رسالة تعليمية تثقيفية:

نلاحظ في القصيدة دعوة الشاعر إلى إجلال أهل العلم و بيان قدرهم فيمرر رسالة مفادها تعظيم أهل العلم و حفظ مكانتهم و الالتفاف حولهم و هي رسالة في جوهرها تحث على طلب العلم و تقدير أهله و إنزالهم منزلتهم التي يستحقون، و هذا في قوله:

أجلّوا رجال العلم بين ربوعكم *** فقدرهم وافي الرجاحة عالي

و لا تقبلوا فيهم وشاية خائن *** و نفثة مغتاب و بغضة قالي (خليفة، 2010م)

ففي هذين البيتين يوجه الشاعر رسالة إلى أبناء جلدته خاصة و إلى الأمة الإسلامية عامة يدعوهم فيها إلى تبجيل العلماء و تقديرهم و حفظ مكانتهم، و عدم السماع للأقاويل و الاشاعات التي تُقال فيهم وردّ كل نيمة أو فتنة يرمون بها، لأنه يدرك أن الأمة التي لا تقدر علماءها لا وجود لها، لأنهم حصنها الحصين و أساسها الرّصين و لا قائمة لأمة مالم تقم أمر علمائها وتهتم بهم و تحفظ حقهم و تسهل لهم نشر العلم و المعرفة، فالعلم أساس حضارة الأوطان و جدارها المتين، فالشاعر يحفز على طلب العلم و إجلال العلماء في هذه الرسالة الشعرية.

خاتمة:

من خلال ما تقدّم نستشف أن فن الرسالة في الشعر الجزائري الحديث والمعاصر قد أصبح شكلا تعبيريا قويا يُمكن من إيصال القضايا الوطنية و الإنسانية بفعالية، فلم يعد الشّعر مجرد وسيلة للتعبير الوجداني، بل تحول إلى خطاب هادف يحمل في طياته أبعادًا توعوية و إصلاحية، و قد برز هذا بجلاء في قصيدة "صدى الصّحراء" للشاعر محمد العيد آل خليفة، التي نجحت في الجمع بين الجماليات الفنية والمضمون الرّسالي، مستندة إلى أساليب بلاغية متميزة و صور شعرية عميقة تخدم غاياتها، فالقصيدة ليست مجرد وصف للطبيعة إنما هي خطاب وطني، و رسالة دينية، و رؤية حضارية، فقد وظّف الشاعر الصّحراء بوصفها رمزا يعكس طموح الأمة و قضاياها.

كما أكّدت الدّراسة أن الرسالة الشعرية في إبداع الشاعر لم تكن تقليدية أو مباشرة، بل قدّمت ضمن إطار فني راقٍ يمزج الإيحاء بالتأثير، مما منح النص عمقًا دلاليًا و جاذبية فنية خاصة، و بناءً على ذلك يمكن الاستنتاج أن الشعر الجزائري الحديث ظل أمينًا لوظيفته الرّسالية، مع الحفاظ على أصالته الفنية، ليكون شاهدًا حقيقيًا على التفاعل الحيوي بين الأدب و قضايا المجتمع وتغيراته.

قائمة المصادر و المراجع:

1. ابتسام ذهبيّة. (2021م). جمالية فن الترسّل في الأندلس. إشكالات في اللغة و الأدب، 10(2)، صفحة 680.
2. إبراهيم بن سليمان الكاتب. (1967م). البرهان في وجوه البيان. بغداد، العراق: مطبعة المعالي.
3. إبراهيم مصطفى. (1972م). المعجم الوسيط (الإصدار 2). اسطنبول، تركيا: المكتبة الإسلامية.
4. ابن خلدون. (1858م). المقامّة (الإصدار طبعة باريس). (أ.م. كاترمير، المحرر) لبنان: مكتبة لبنان.
5. ابن منظور. (1997م). لسان العرب (الإصدار 1). بيروت، لبنان: دار صادر.
6. ابن وهب الكاتب. (1969م). البرهان في وجوه البيان. (حقي محمد شرف، المحرر) القاهرة، مصر: مكتبة الشّباب.
7. أحمد بدوغان. (1996). في الأدب الجزائري الحديث (الإصدار 1). دمشق، سوريا: منشورات إتحاد الكتاب العرب.
8. أحمد بدوغان. (1996م). في الأدب الجزائري الحديث (الإصدار 1). دمشق، سوريا: منشورات إتحاد كتاب العرب.
9. أسماء عبد الرّؤوف عطية. (2009م). الرسائل في العصر العباسي. 11. قسم الدّراسات الأدبية و النّقدية، كلية اللغة العربية، جامعة أم درمان الإسلامية.
10. الرّمخشري. (1998م). أساس البلاغة (الإصدار 1). (محمد باسل عيون السّود، المحرر) بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.
11. الفيروز آبادي. (1439هـ/2015م). القاموس المحيط (الإصدار 4). بيروت، لبنان: مؤسسة الرّسالة.
12. جيّور عبد التّور. (1984م). المعجم الأدبي (الإصدار 1). بيروت، لبنان: دار العلم للملايين.
13. عبد العزيز عتيق. (1982م). في النّقد الأدبي. بيروت، لبنان: دار النّهضة العربية.
14. عمر قينة. (بلا تاريخ). في الأدب الجزائري الحديث تاريخاً وأنواعاً وقضايا و أعلاماً. الجزائر، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعيّة - بن عكنون.
15. فتية أحمد عبد الله. (2021م-2022م). فنّ الرّسالة عند أحمد مقرّبي التلمساني. عين تموشنت، الجزائر: جامعة عين تموشنت.
16. محمد ابن سميّة. (بلا تاريخ). محمد العيد آل خليفة دراسة تحليلية لحياته. الجزائر، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

17. محمد العيد آل خليفة. (2010م). *الدَّيَّوان*. عين مليلة، الجزائر: دار الهدى.
18. محمد بن أحمد بن إبراهيم طباطبا. (بلا تاريخ). *عيار الشعر*. (عبد العزيز بن ناصر المانع، المحرر) القاهرة، مصر: مكتبة الكانجي.
19. محمد سميحة. (بلا تاريخ). محمد العيد آل خليفة، دراسة تحليلية لحياته.
20. محمد يونس عبد العالي. (1969م). *في الشعر العربي قضايا و فنون* (الإصدار 1). مصر: الشركة المصرية للنشر.
21. مصطفى محمد الشوابكة. (2009م). *دراسات أدبية و نقدية في الفنون الشعرية* (الإصدار 1). عمان، الأردن: دار الفكر.
22. ياسر عبد الحسيب رضوان. (2017م). *فن الرسالة، دراسة أسلوبية حجاجية* (الإصدار 1).